وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبياً »[١] .

ثانيها : أن خلوة النبى « ﷺ » مترتبة على الرؤيا الصالحة التى هى قسم من أقسام الوحى ، فإن قيل : « أمر الغار قبل الرسالة ، فلا حكم . أجيب بأنه أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة ثم حبب إليه الخلاء... فدل ذلك على أن الخلوة حكم مترتب على الوحى لأن كلمة ثم للترتيب ، فكان ذلك أمعن فى الذهاب إلى أن التحنث لم يكن تبعية لعادة ولا رياضة نفسية خاصة ، بل كان وحياً بوحى من عند الله ، والله أعلم حيث يجعل رسالته »[٢] .

ثالثها : أنه «ﷺ» خاف على نفسه لما رأى الملك أول مرة... »[٣] فلم يكن «ﷺ» ينتظر النبوة ولا متهيء لها، وإلا لما خاف على نفسه، ولو كان كذلك «لظهر عقب ذلك ما كانت تنطوى عليه نفسه الوثابة »[٤] .

ولكن لا يعنى ذلك أن كل من رأى رؤيا صادقة تحنث .

والمعنى أن النبى «ﷺ» كان يرى الرؤيا فتقع كما رأى، وتلك إرهاصات الوحى، وكانت مدته قبل وحى اليقظة الصريح ستة أشهر[٥]. ولقد كان ذلك هو الحال مع إبراهيم عليه السلام حين نزل الأمر بذبح إسماعيل ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ [الصافات: ١٠٢] فضلاً عن دلالته على أن رؤيا الأنبياء أمر إلهى يترتب عليه آثار سلوكية ، فإنها « كلها وحى مقطوع على صحته »[٦] .

○ مراتب الوحي ووسائله : ـ

حددت الآية (٥١) من سورة الشورى ضروب تكليم الله تعالى لأنبيائه ـ وإن كان هذا الأمر لا يعرف كنهه ـ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) ﴾ .

تضمنت الآية ثلاث مراتب للوحى :

المرتبة الأولى : وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ أن يكلمه الله إلا وحياً ﴾ وهو نفث

---

١ ـ العسقلانى : السابق .

٢ ـ القسطلانى: إرشاد الساري لشرح صحيح البخارى جـ٦ ص٣٤ المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٠٤هـ .

٣ ـ رشيد رضا : الوحى المحمدى ص٩٣ـ٩٤ الطبعة السادسة ١٣٨٠هـ .

٤ ـ المرجع السابق .

٥ ـ البيهقى : دلائل النبوة جـ١ ص٣٩٣ ط أولى . دار النصر للطباعة . القاهرة .

٦ـ ابن حزم الفصل جـ٥ ص١٤ . مكتبة السلام العالمية . القاهرة (ب ـ ت)